الكتاب الجديد

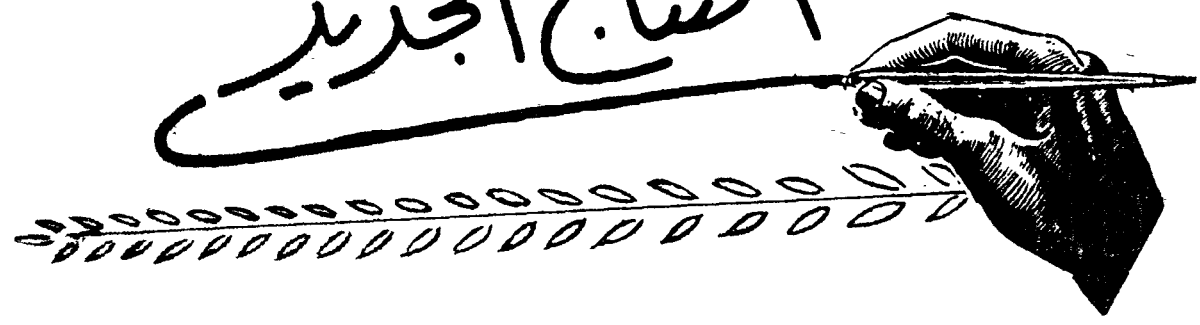

الامم المتحدة في العالم المتطور

تأليف حمدي حافظ

***

اصبحت الكتابة في المشكلات الدولية اليوم فنا مستقلا من فنون الكتابة المتخصصة ، لا يصلح لها الا من عاش لها ، ووقف قلمه عليها ومضى يرصدها ويتابعها ، فقد تعددت هذه المشكلات وتعقدت،واختلفت وجهات النظر ، ولم يعد في الامكان ان يعالجها الكاتب السياسي او المفكر من خلال دراسات اخرى ، فضلا عن ان الحاجة الماسة الى باحثين متفرغين لكل فن اوحت بان يتجه من لهم شغف خاص لهذا الفن من القضايا العالمية الى مزيد من الاستيعاب والدراسة ، وفي السنوات الاخيرة خرجت من القاهرة ابحاث مدروسة متخصصة في عديد من هذه المشكلات تكشف وجهة نظر الامة العربية التي اصبحت ولها ثقل واضح في المجال الدولي ، ورأي صريح في قضاياه قوامه العمل على تحرير الاجزاء الباقية من العالم من سيطرة الاستعمار ، وتبني مختلف قضايا الحرية والوحدة ، ومن ثم اصبح لها صوت مسموع في المجال الدولي ، زاده قوة تضاعف عدد الدول الافريقية الجديدة التي تحررت وانضمت الى المؤسسة العالمية ، وسارت في ركب الدول المتحررة، وقد بدا ذلك واضحا ، في عديد من المؤتمرات التي عقدت في باندونج واكرا والقاهرة واديس ابابا ، سواء على مستوى الافرواسيوية او في سبيل الوحدة الافريقية .

وكانت قضية الجزائر خلال سبع سنوات كاملة من ابرز القضايا العالمية التي عاشت الاقلام تتابعها وتواجه مختلف تطوراتها ، وما تزال قضايا عمان وامارات الخليج العربي وخليج العقبة ، وفي المجال العالمي ما تزال مشكلة توحيد المانيا ومشكلة برلين تشغل الاذهان وكذلك قضية الملونين في امريكا ، وقضية نزع السلاح ، ودور الامم المتحدة ومستقبلها، وقضية حق تقرير المصير والعدالة الدولية ـ كل هذه القضايا عاشتها الامة العربية بعمق لانها متصلة بها من قريب او بعيد ، وكان لها في هذه القضايا رأي ووجهة نظر .

***

ويعد الاستاذ « حمدي حافظ » من ابرز الكتاب في العالم العربي في السنوات الاخيرة في التخصص بالقضايا العالمية ، وكشف وجهة النظر العربية كلها ، وقد ظهرت له عشرات الابحاث في هذا الصدد يمكن ان يطلق عليها دائرة معارف في القضايا والمشكلات الدولية ،ومع ان بعض هذه الابحاث قد اتصلت بقضايا فصل فيها او تحقق منها النصر ، الا انها في مجموعها ما تزال تمثل قطاعا مستقلا من الدراسة العالمية المتخصصة التي كان من الضروري ان يتجرد لها كاتب عربي ويصرف كل جهده اليها .

ولم يكن « حمدي حافظ » قبل دراسانه وابحاثه هذه بعيدا عن مجالها الفكري ، بل على العكس من ذلك كان قريبا اليها اشد القرب ، فهو بدراسته القانونية وعمله في مجال القضاء ، كان قد اعد نفسه لان يعمل بعد في قضية كبرى هي قضية الحرية في عالمنا والدفاع عنها على النحو الذي اختاره من بعد في ابحاثه المتعددة ومؤلفاته الكثيرة عن مشكلة توحيد المانيا ومشكلة برلين وعمان والجزائر وخليج العقبة وايريان الغربية .

وابحاثه الاخرى عن العدالة الدولية وكتابه الذي نقدمه اليوم عن الامم المتحدة في العالم المتطور ، ففي مختلف هذه الابحاث نحس روح القانوني وطابع القاضي ، وعندما يعرض مثلا لحق تقرير المصير يعرفه بانه حق كل امة في ان تكون هي وحدها صاحبة السلطة العليا المختصة ، في تقرير شئونها دون اي تدخل اجنبي ، وإستقلالها داخل حدودها ، ومرتبها في تكييف حياتها وصلاتها واستثمار مواردها وخيراتها والمحافظة على القيم الاصلية في تاريخها وثقافتها .

ثم يمضي الى القول بان حق تقرير المصير يهدف اساسا الى التحرر من التدخل الاجنبي ، واقرب مثل على ذلك هو الشعب الايرلندي، فانه لم يكن يفتقر الى الحرية السياسية حين كان مرتبطا بانجلترا ، كما ان مصالحه لم تكن مهملة ، وكل هذا لم يصرف الشعب الايرلندي عن المطالبة بتقرير مصيره .

ثم يتناول البحث ما يتطلبه ممارسة حق تقرير المصير من استقرار الشعب على رأي موحد صادق عن جنسيته والوسائل التي يعبر بها الشعب عن ارادته .

ويرى « حمدي حافظ » ان قضية نزع السلاح هي قضية البشرية كلها ، اذ يجب المحافظة على الجنس البشري من الفناء التام ، لا من دمار محدود او خسائر مؤقتة .

فاذا عرض لمشكلة « الزنوج في امريكا » كشف عن جذورها الاصلية وارجعها الى ما بعد الحرب الاهلية الامريكية ، فالشمال المنتصر في هذه الحرب فرض على الجنوب المنهزم بدون روية نظام احتلال عسكري وضغط اقتصادي وتركه نهبا للمغامرين الشماليين ... وهكذا يمضي امام كل مشكلة يتعمق اصولها ويعرضها في اسلوب قانوني علمي دقيق من ناحية المضمون ، سهل ميسر عن طريق الاداء والتعبير .

وحين يعرض لانابيب البترول وناقلاتها في الشرق الاوسط ، وهو اول كتاب من نوعه في اللغة العربية ـ يعتبر ان كل خط انابيب العالم العربي بمثابة قناة سويس خاصة ، وانها اداة فعالة في احياء التجارة العالمية والابقاء على السلام بين الشرق والغرب ، ويرى ان من حق العرب وضع سياسة بترولية عربية موحدة يكون من اثرها ان يدبروا بانفسهم منابع ثروتهم وطرق الانتفاع بها .

وفي كتابه «الامم المتحدة في العالم المتغير» يعرض الكاتب للمؤسسة الدولية وتكوينها واهدافها ، وما يتوقع لها من مستقبل في خدمة الانسانية وحل مشاكل الشعوب .

وهكذا يمضي « حمدي حافظ » في نفس الطريق الذي رسمه منذ مطالع حياته عندما تخرج من كلية حقوق القاهرة عام ١٩٣٥ . وهو لم

يتغير الا حين استبدل كرسي القضاء بكرسي الدفاع عن قضايا الامة العربية في المجال العالمي ، وقد بدأ حياته منذ فجرها بالاتصال بالصحافة والكتابة بها ، ويذكر ان اول مقال له في السياسة اليومية ١٩٣١ كان تعليقا على تعيين مستر ايدين كاول وزير انجليزي لشئون عصبة الامم، وهكذا يبين الارتباط بمجال السياسة العالمية منذ ثلاثين عاما ، هذا الاتجاه الذي تبلور من بعد وتوسع بعد ان مر في مراحل طويلة ، فقد ظل « حمدي حافظ » يواصل الكتابة في الصحف العربية ويتصل بهذا المنبر ، رغم كل مشاغله في عمله بالقضاء او النيابة ، وكان اكثر ما يعنى به ـ تقديم المؤلفات العالمية التي يقرأها ، والتي كان شغوفا بها ، فضلا عن كتاباته عن الشخصيات العالمية وملاحظاته في رحلاته الى الغرب .

وفي خلال عمل القاضي ، اولى اهتمامه للقضايا الحائرة ، وكان قد رحل الى اوروبا وامريكا زائرا ، متصلا بزملائه رجال القضاء ، « جالسا الى جوارهم على المنصة » ، دارسا باحثا منقبا فيما يعرض عليهم من القضايا « ومن خلال هذه القضايا الحائرة اصدر عام ١٩٤٥ كتابه عنها وقد اعيد طبعه ١٩٦٢ ونفد بسرعة مذهلة .

يقول في مقدمته « خرجت من ميدان القضاء بخبرة تقول :ان عديدا من المشكلات والقضايا والمحاكمات تنتهي ، وهناك خلاف كبير بشأنها ، بين الاحكام التي تصدر فيها ، وبين ما يظنه فيها عامة الناس المتتبعين لها . »

ومن هذه القضايا الغامضة قدم اكثر من خمس عشرة قضية .

فلما اتيح له ان يعمل مراقبا لمصلحة الاستعلامات عام ١٩٥٤ فوكيلا لها ، كان مجاله الحقيقي في العمل الكبير الذي تخصص فيه ووهبه كل امكانياته قد فتح على مصراعيه ، ذلك هو مجال دراسة القضايا العالمية والمشاكل الدولية والتخصص في دراستها وعرضها ووضع الحلول ذات الطابع العربي المستمد من مفاهيمها الثورية ، وقد عالج هذه القضايا بروح القانوني المنصف غير المتحيز ، وحمل لواء العمل فيها على النحو الذي يحمله المحامي في الدفاع عن قضية حق .

وهكذا بلغت مؤلفات « حمدي حافظ » اكثر من عشرين مؤلفا في الشئون الدولية والمشكلات العالمية المعاصرة ، بعضها بالاشتراك ، وان كان طابعه القانوني واضحا فيها جميعا . وكان هذا جزءا من عمل ضخم قامت به مصلحة الاستعلامات في سبيل خلق اكبر مكتبة سياسية دولية في الشرق الاوسط .

ومما ساعد على هذه الدراسات اختياره لالقاء محاضرات في جامعات هارفارد (اكبر جامعة في العالم) وبوسطن ولوس انجلوس ، عن شئون الشرق الاوسط والقضايا العالمية . ومن اعماله كتابه الضخم عن ثورة ١٩٥٢ المصرية العربية الذي يدرس اليوم في الجامعات العربية.

وجملة القول ان « حمدي حافظ » تخصص في الدراسات العالمية للقضايا والمشاكل الدولية ، وبرز في هذا المجال بعديد من الابحاث ذات الطابع العلمي القانوني التي تكشف عن وجهة النظر العربية الخالصة.

القاهرة **انور الجندي**

ثورة الفقراء

تأليف رجاء النقاش

منشورات دار الاداب بيروت ـ ١٤٠ ص

***

« ازمة الثقافة المصرية » ، « ابو القاسم الشابي » ، « التماثيل المكسورة » ، « ادب وعروبة وحرية » ، ثم هذا الكتاب عن « ثورة الفقراء » العظماء في الجزائر ، تلك هي الكتب التي صدرت في الاعوام الاخيرة للناقد الادبي الاستاذ رجاء النقاش ، ونستطيع من خلالها ان نتبين بعض الخطوط الاساسية او السمات العامة التي تحكم تفكيره وتوجهه . واولى هذه السمات ذلك الارتباط الواعي العميق بالقضايا السياسية والاجتماعية في العالم العربي ، وهو في هذا « كاتب عصري » بمعنى الكلمة ، اذ لم يعد الكاتب اليوم معزولا عن هذه القضايا سواء كانت قضايا بلاده ام عصره ، يشارك فيها بقلمه الذي يتحول الى سلاح لا يقل خطرا عن سلاح الحرب العملية ان لم يكن يفوقه في احيان كثيرة، واوضح الامثلة على ذلك « عاصفة على السكر » و « عارنا في الجزائر » لجان بول سارتر و «الزحف الطويل» لسيمون دي بوفوار وغيرها من الكتب الهامة التي تؤكد هذه الحقيقة .

ويميل البعض الى تقدير الكاتب على اساس ارتباطه بهذه القضايا ولكننا لسنا ممن يجعلون ذلك مقياسا للحكم وبالاخص على الفنان لان الفرق سيظل قائما بين الكاتب او الفنان وبين الكاتب السياسي او رجل السياسة المحترف ، وهذا الفرق يتضح من تناول رجاء النقاش للثورة الجزائرية ، وهو يصل بنا في الوقت نفسه الى السمة العامة الثانية في كتاباته ، الا وهي العاطفة العميقة الصادقة التي تكمن وراء كل كلمة يكتبها ، هذه العاطفة التي لا تتعارض ابدا ـ وان بدا ذلك للنظر السطحي ـ مع الدقة العلمية ولكنها على العكس تنميها وتزيدها قوة .

ورجاء النقاش ـ كناقد ـ لم يترك لاحد فرصة تقييم كتابه ،فوضع في المقدمة التقييم الحقيقي له حينما قال « الكتا ب في النهاية محاولة للتعبير عن عاطفة عميقة حملتها منذ وقت مبكر لثورة الجزائر ثم ازدادت هذه العاطفة وضوحا بعد زيارتي للجزائر » ، « وفي طريق الكشف والمعرفة والفهم اقدم هذه المحاولة المتواضعة حبا لشعب عظيم واعجابا لا ينتهي بثورة عظيمة » ، فهي ثورة الجزائر ولكن من خلال « عاطفة عميقة » حقا واصيلة ومخلصة اصالة واخلاص كاتبها وكتابه البديع .

والكتاب من ثمانية فصول ومقدمة يوضح فيها الكاتب ان عام ١٩٦٣ هو « البطل الرئيسي » لهذه الفصول « واي رجوع الى ما سبق هذا العام هو رجوع يهدف الى تفسير حوادث هذا العام ومعرفة جذورها الحقيقية » ، وتحت عنوان « الجبهة والاحزاب القديمة » يشرح لنا في الفصل الاول الفرق بين جبهة التحرير والاحزاب القديمة مثل حزب البيان وحزب الشعب والحزب الشيوعي ، وهو فرق في طبيعة ادراك كل من هذه الجهات لما تحتاج الجزائر اليه حقا ، وهو الامر الذي ادركته جبهة التحرير بوضوح وكانت متفردة في ذلك عن الاحزاب القديمة التائهة .

وفي الفصل الثاني يتحدث عن «مشاكل الاستقلال» التي واجهت ابطال التحرير مجتمعة ، وهي تحقيق الوحدة الداخلية وعزل القيادات اليمينية وتكوين الجهاز الذي ينفذ الثورة عمليا ، ثم الانقسام بين صفوف الثوار والذي يراه الكاتب « دليلا على الصحة والقوة في ثورة الجزائر وليس دليلا على المرض ، انه دليل على ان المهادنة والمساومة حول الاشتراكية لن تنفع » ، وفي الفصل الثالث ننتقل الى احدى المشاكل الخطيرة في ما بعد الاستقلال وهي مشكلة التعريب فقد حاولت السلطات الاستعمارية الفرنسية ان تقتل اللغة العربية في الجزائر لتقتل فيها شخصيتها ولكنها فشلت فقد « تسلب شعبا من الشعوب لغته وتكبتها وتفرض عليه في المدارس لغة اخرى ولكنك ما لم تستطع تعليم الناس ممارسة الوجدان باللغة الجديدة فشلت في استئصال اللغة الاصلية » كما يقول اليوت في مقاله « المهمة الاجتماعية للشعر » (ترجمة د. لطيفة الزيات) ، وهذا ما حدث فعلا في الجزائر ، ومن ناحية اخرى حاول الاستعمار احياء لغة البربر وهي لغة القبائل المهجورة وذلك لاحداث الانقسام داخل الجزائر وفشلت هذه المحاولة ايضا واليوم يقول بن بيللا « لا اشتراكية بدون تعريب » ، « نحن عرب ، نحن عرب ، نحن عرب » ، تربطنا « وحدة المصير » وكما يقول الكاتب « ان العودة الى اللغة العربية هي عودة الى الشخصية القومية » .

وفي الفصل الرابع يحدثنا رجاء النقاش عن شخصية بن بيللا ويستعرض لنا كفاحه الطويل من اجل الجزائر ويسخر معنا ممن يقولون

ـ التتمة على الصفحة ٧٩ ـ

النتاج الجديد

ـ تتمة المنشور على الصفحة ٥٨ ـ

بدكتاتوريته ، فعلى حد قول بن بيللا نفسه « لو كانت هناك ديكتاتورية في الجزائر كما يقول المعارضون لما كان هناك من يتحدث عنها » ثم ينتقل في الفصل الخامس لتوضيح الخطوات التي حققتها الثورة لخلق « ديمقراطية الفلاحين » وعلى رأس هذه الخطوات قرارات مارس الاشتراكية ١٩٦٣ التي قال عنها بن بيللا « اننا نريد بقرارات مارس خلق اول نوفمبر اخر اكثر عمقا واكثر خطورة » يعني اول نوفمبر عام ١٩٥٤ عندما انطلقت الرصاصة الاولى في الثورة الكبرى التي انتهت بالاستقلال ثم بالاشتراكية .

وتحت عنوان « عقل الثورة » نتتبع المثلث الفكري كما سماه الكاتب ، قاعدته بيان اول نوفمبر ١٩٥٤ ودستور سبتمبر ١٩٦٣ وقمته برنامج طرابلس في مايو ١٩٦٢ الذي يصفه بانه « دليل كامل ناضج للعمل الثوري » وهو الذي كتب بعد وقف اطلاق النار في ١٩ مارس ١٩٦٢ محددا ايديولوجية الجزائر في ثلاث نقاط اساسية : الاشتراكية والعروبة والاسلام كجزء من كيان الامة العربية وماضيها العريق .

وفي الفصل السابع نرى ان « الدستور الجزائري يؤكد الوجه العربي للجزائر ولا ينفيه عندما يربط بين الجزائر وافريقيا ويربطبينها وبين المغرب » وفي الفصل الاخير تواجهنا الارقام ، مليون ونصف مليون شهيد ، مائة الف من ابناء الشهداء ، نصف مليون ارملة ، مليونان من العاطلين ، ارقام ضخمة تحمل وراءها مشكلات كثيرة ولكن ثورة الجزائر ، لانها ثورة الشعب ، قادرة على حل مشاكل الشعب ومواجهة فلول الرجعية التي تتوهج الان وهج ما قبل الموت الساحق الاكيد .

القاهرة — سمير سعيد فريد

تباريح

شعر حارث طه الراوي

دار مكتبة الحياة ، بيروت ـ ١٥٢ ص

***

(تباريح) المجموعة الشعرية البكر لشعر السيد حارث طه الراوي قيل اكثرها في مناسبات عديدة ، ويكاد يمر اغلب شعر المجموعة في تجربة عاطفية متفقة تماما فانت تتنقل في شعره من « نظرة ـ ولجاجه ـ وعتاب ـ ورحيل ـ ودموع ـ وجنون حب » الى الغرق في الحب والعزلة لدى الشاعر . وثمة ميلاد اغر ترعرع في احضان الامل ونهل من مناهل الحب ثم خبا في مهده ، ترك في نفس الشاعر ألما ممعنا وتباريح لاهثة ، انه نتاج فتي لريشة استقطر مدادها من خواطر واحاسيس تضطرم في نفسه ، وليس ادل على ذلك من تصدير الشاعر (امين نخله) لهذه المجموعة ببعض الابيات .

يقدم الراوي مجموعته الى ابيه بمناسبة ذكراه الرابعة بشيء من الاسى والكدر ، ويكاد يموت صدى هذه القصيدة عند البيت الثالث حينما تفقد استمراريتها الانفعالية وتنحدر الى سوق التقريرية الهزيلة.

ولعل احسن ما لمسته في شعر المجموعة تلك السذاجة في الحب وما تتمخض عنها من ترانيم تائهة في مفاوز الالم . تلك الالحان التي تندب حبا ضاع في قلب غادة اترعته الوحشة المجنونة والصمت المقيت والاصرار على الغناء في معبد الحب ومهمه الاحزان :

فاهجريني واتركيني حائرا — واجعلي الصمت لاشواقي جوابا
معبد الحب سيبقى معبدي — صلواتي فيه لا ترجو ثوابا (١)

ما اجمل هذه الصلاة التي لا تثاب ، وهذا المعبد الزاخر بالامنيات العذاب .

وفي عين السيدة (ص ١٢٨) وحينما تشب الذكرى ، ويهد الحنين قوى النفس الواهلة يقول :

غادة جالت مع الدهر ولم — تذهب الايام شيئا من صباها
اوغلت في الحسن حتى انها — أنفت ان يصنع الناس حلاها
تؤثر الصمت فلو كلمتها — لم تبح حتى بهمس شفتاها

على ان الشاعر قد يسف احيانا فيمسح تلك الصورة التي جسدها في لحظة من لحظات انفعالاته الشعورية ، وهذا يرجع الى عدم استيعابه الفكرة وبالتالي سطحيتها وجمودها ففي قصيدة (عتاب ص ٢٠) يقول :

فما كان منها غير صمت كأنها — جنازة مسكين بغير غطاء

الا ما اقبح هذه الصورة . انها ابتذال وسطحية تنم عن عدم التفكير مبدئيا بالذوق الادبي . زد على اقحامه لصور غريبة تافهة بوقاحة تناظرها ما قوله :

اشربودع عنك حديث الورى — فانت تشكو وجع الرأس (٢)

بل وقد لا يأبه من تكرير الكلمة مرات عديدة فتصير مستقبحة جدا كقوله :

هباتي هباتي هباتي الدموع — دموعي دموعي دموعي الكدر

وقد ينأى عن الصواب في تعاميه عن الحقيقة ومبالغته في المدح.

ويحتوي الديوان على بضعة قصائد سياسية استوحى افكارها من اعاصير الاحداث التي انتابت الامة العربية بين ٥٨ ـ ١٩٦١ وطبيعي جدا ان يضيع مقياس التعبير الجيد من ناحيتي الاسلوب والابتكارات الفنية الجديدة في هذا الغرض وفي تلك الفترة فمن قصائده السياسية (ثورة تموز ـ الجزائر ـ شهيد الحرية ـ اغادير ـ ثورة عمان ـ شيخ الطفاة) واليك شيئا من قصيدته الاخيرة كأحسن ما قاله في هذا الباب:

ارض الجزائر لن تباع كما ظننت فكيف تهدى ؟
هي للكماة الرافعين على ذرى الاوراس بندا
هي للاسود تراكضت للموت تبغي منه وردا
سلها عن الثوار هل وجلوا وهل (غمدوا) فرندا ؟

ارى أن مشكلة ما آل اليه شعراء هذه الفترة من انحطاط في مستوى نتاجهم ـ تفاهة في الاسلوب وتحجر في الابتكارات والصور ، وانحدارة الى هوة التقريرية اليائسة والهتافية الجافة ـ ليستراجعة الى ضخامة الاحداث وما تمخضت عنها من ازمات محدقة فحسب ، بل انه يرجع الى (فقدان الاديب اتصاله المباشرة بالحياة) (٣) فانعدام القدرة الابداعية ، واذ ذاك لم يعد ينبض بآمال وآلام الانسانية المعذبة اولا ولم يعد ينبثق من اغوار الامة وحساسيتها ثانيا (٤) . وهذا يعني الانهزامية التي يفرضها الاديب على نفسه ، حينما يلف نفسه في شرنقة دافئة ليبتعد تماما عن كل ما يثيره الناس من صراع ، وهو يعني ايضا عجز الاديب عن اتمام احدى رحلاته الثلاث التي يلجأ اليها حينما يضيق بالعالم الصاخب (النفس الانسانية ، والطبيعة الحانية ، والوجود المزق) . فوجود مثل هذا الادب الميت في دفء الحياة ، حيث تستقر النفوس ، وتلتئم الجراح ، ويهدأ الصراع الاجتماعي يؤيد ما قلنا سابقا.

اخيرا ارجو معذرة الشاعر ، ولي وطيد امل في تطوير انتاجه ، ورفعه نحو الافاق التي يجب أن يرتادها الشعر في الظروف الحاضرة .

---

١ ـ من قصيدة جنون الحب ص ٢٣
٢ ـ من قصيدة اشرب ص ١٣١
(٣ ـ ٤) محيي الدين صبحي (الاداب شباط ١٩٦٤)

حلة العراق — عبد الامير جعفر